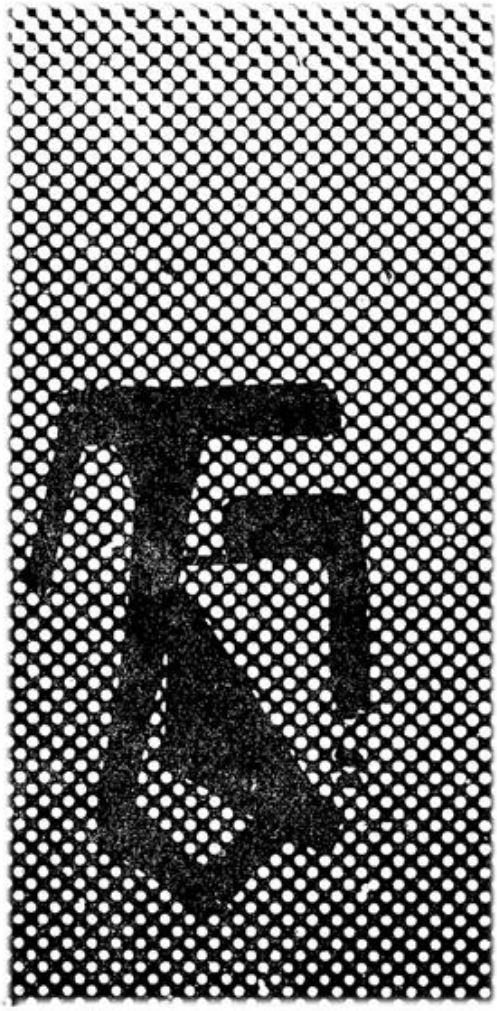

درس واحد

قصة : كمال مرسى

فى صباح يوم الحفل جاء الاستاذ عاشور الى المدرسة لأول مرة منذ سنين عديدة ، مرتديا حلة جميلة جديدة..!!

كان ذلك حدثا فريدا غير مألوف فى حياة المدرسة ، اليومية الرتيبة . فتناثرت همسات الترحيب بها فى الفضاء الكبير ، غير أن الاستاذ عاشور تجاهل ذلك الترحيب بحلته بالرغم من أن لفظه (اش .. اش ... ش) كانت تلاحقه كلما خطا خطوة داخل الفناء .. لكنه كان سعيدا .. وكعادته كلما أحس بالخجل ، أخرج ساعته الفضية الكبيرة المربوطة بعروة صداره ونظر فيها برهة ثم أعادها الى مكانها ... ولو أن أحدا سأله تلك اللحظة عن الوقت لما أجابه بالدقة التى اشتهر بها ، بالرغم من أن ساعته لا تؤخر أو تقدم دقيقة واحدة ...

وهمست تلميذة رفيعة كالفتلة :

ـ فاكرين يا بنات .. ؟ يوم ماوقعت نظارته..وانكسرت عندنا فى الفصل..؟

ـ كانت الدمعة ح تفر من عينه عشان مش شايف يكمل الحصة ...

وقالت تلميذة أخرى سمينة :

ـ ... بس عيبه حاجة واحدة .. دايما يتعبنا بالحصص الاضافى ..

ولكن مما لا شك فيه أن الاستاذ عاشور ـ مدرس اللغة العربية ـ كان محبوبا من جميع تلميذاته ، لاخلاصه وتفانيه فى عمله . ومع هذا كان ـ لطيبته المتناهية ـ هدفا سهلا لشقاوة بعض التلميذات . غير أنه كان يعمل دائما حساب هذه الشقاوة ..

ويحبط المؤامرة فى الوقت المناسب .. وكانت تساعده حلته القديمة التى تعود أن يرتديها فى الأيام العادية .. كان جيبها الأيمن الخارجى منتفخا دائما كأنما أصابه ورم مزمن .. وكان هذا الانتفاخ فى بادىء الأمر موضع تساؤل البنات لكنهن أدركن ـ فيما بعد ـ أن سبب الورم فى جيب الاستاذ عاشور ، منديل أحمر كبير فى حجم فوطة السفرة يستعمله فى مسح التخته كلما اختفت المسحة فى حصته حتى لا يضيع وقت الحصة فى البحث عنها ، كما ترغب فى ذلك ، بعض البنات الشقيات ...

وعندما دق الجرس الكبير فى فناء المدرسة بدأ الحفل الذى ارتدى من أجله عاشور أفندى حلته الجديدة ...

ووقفت التلميذات فى صفوف طويلة بالفناء الواسع .. طوابير تشكل مربعا كبيرا وقفت فى وسطه حضرة الناظرة وبجوارها (**انست منيرة الظابطة**) تحمل الجوائز الثلاث التى قررت حضرة الناظرة منحها لأحسن مدرسى المدرسة ...

وطقطق مكبر الصوت الموضوع وسط الفناء .. وبعد لحظات انطلق منه ، السلام الجمهورى ثم تقدمت (**الست الناظرة**) وأمسكته من عنقه بيدها الغليظة برهة ، ايذانا بأنها ستبدأ كلماتها بينما راحت عيناها تطوفان بأرجاء الفناء بين رعيتها الصغيرة ... كل الرعية رأت عليها صمتا مطبقا .. وسكونا يشوبه الترقب واللهفة لمعرفة الفائزين بجوائز التقدير .. الجوائز المقدمة باسم طالبات المدرسة لأحسن مدرسيها ...

عاشور أفندى واقف بالقرب من طابور فصله ، فى أقصى الفناء تحت الجرس تماما .. مسح زجاج نظارته ثم وضعها على عينيه وبنظرات فيها شىء كالطمأنينة أو الدعة أخذ يقيس المسافة ما بين مكان وقوفه والمكان الذى تقف فيه حضرة الناظرة لتسليم الجوائز ..

وسرحت عيناه ...

عندما تعلن حضرة الناظرة اسمه ، سيتقدم فى وقار بحلته الجديدة من خلف طابور سنة ثانية ... هكذا ... ثم الى وسط الفناء ...

لا ... يحسن أن يكون عبوره من الناحية الأخرى ، عند طابور سنة ثالثة .. فعلا ... هذه المسافة أقرب ...

واكتشف عاشور فجأة ، أنه كان يعبث بحذائه فى كومة صغيرة من الرمال الصفراء المفروشة على أرض الفناء ... أخذت عيناه تنظران فى قلق الى حذائه المتربْ ... ساءه أن ينطفىء لمعان الحذاء ... لن يلمع كما يجب لو خبطه على الارض لينفضه ... عيون البنات كانت كلها مستقرة على الجوائز الموضوعة وسط الفناء على منضدة مفروشة بالجوخ

الأخضر ... انتهز عاشور الفرصة ومسح الحذاء فى جوربه ... فعادت الطمأنينة الى عينيه ...

وتنحنحت (الست الناظرة) وهى تبعد فمها عن (الميكروفون) لكنه ضخم بالرغم منها ، نحنحتها ، فبدت كخوار ثور كبير .. ثم أعلنت أسماء الثلاثة الذين تقرر منحهم الجوائز .. ولم يكن من بينهم الاستاذ عاشور ... !!

وسكت الجميع ...

طوابير البنات المرصوصة في الفناء الكبير ، كأنما ، انعدمت فيها الحياة ..!

الا من حركات للعيون تتناقل استفهاما غريبا .. !!

أشارت (الست منيرة الظابطة) الى البنات ليصفقن . لكن الوجوم كان مايزال مطبقا فى انحاء الفناء الكبير .. اضطرت أن تصيح فى مكبر الصوت :

ـ صفقوا يابنات ...

فصفقت البنات بضع لحظات .... تصفيق مكتوم كالضحكة المغتصبة المخنوقة ثم .... انبعثت من أقصى الفناء عند طابور سنة ثالثة ، همهمات ظلت تمضغ فيها بين الشفاه، اسم الاستاذ **عاشور** . وتسرى ... تسرى حتى وصلت الى طوابير سنة ثانية و .... أولى . وأصبح كل الفناء بعد حين، خلية نحل كبيرة ...

وقالت بنت كبيرة سمراء اللون هامسة لاحدى زميلاتها، ان حضرة الناظرة ظلمت الاستاذ عاشور وحابت من يتملقونها من المدرسين والمدرسات...

فى صباح اليوم التالى فوجئت (الست الناظرة) وهيئة التدريس ، ببنت طويلة من فريق كرة السلة ، تخرج من بين الطوابير وتقف فى وسط الفناء الكبير ...

تماما كما وقفت حضرة الناظرة بالأمس ... وتعلن أن طالبات المدرسة قررن تقديم هدية للأستاذ عاشور ... ثم توجهت اليه ، والبنات يصفقن جميعا ، حيث وقف تحت الجرس فى أقصى الفناء بحلته القديمة فسلمت اليه الهدية موضوعة فى علبة فاخرة من المخمل ..

وانطلقت ضحكة من طابور سنة ثالثة ... وبينما بدأت الطوابير تزحف رويدا رويدا الى داخل الفصول ، كان عاشور مايزال واقفا عند الجدار ، تحت جرس المدرسة ساهما كمن يحاول أن يعى تماما ما حدث ... وهو يتحسس بيديه قطيفة العلبة وقد تغبش زجاج نظارته السميك بطبقة رقيقة من الدموع ، حجبت عنه الطوابير الزاحفة نحو الفصول ...

وخاطر حائر يهمس فى أغوار أعماقه الطيبة ...

ـ يعنى حتعمل ايه ، حضرة الناظرة ، للبنت الطويلة بتاعت الكرة ... ؟

دول البنات كلهم .. يد واحدة .. جابوا الهدية ...

فى هذه اللحظة تماما كان زميله ، مدرس التربية الوطنية يتقدم طابور فصله الى حجرة الدرس ويرمق الجموع الصغيرة الباسمة كأنهن طيور نزقة وهو يقول لنفسه :

ـ صحيح يابنات.. !! ارادة المجموع لا يمكن أن تزيف ....

كمال مرسى